القصص

من أساطير الإغريق

پرسيوس وأندروميدا
والجرجون الثلاثة

للأستاذ دريني خشبه

في إحدن مدى الشاطىء الأغريق ، كانت تعيش أميرة جميلة تُدعى « داناى » ، هى وابنها الوحيد الجميل پرسيوس ، الذى كتب عليه أن يحرم من صدر والده الحنون ، ذلك الوالد الذى طوحت به أسفاره ، فشط مزاره ، ولم يعد أحد يعرف أين انتهى قراره

ولقد كان هذا الوالد — فيما يظهر — على جانب عظيم من البأس وقوة الجانب ، حتى لقد فرح أهل المدينة لبعده فرحاً شديداً ؛ ولخوفهم من أن ينشأ طفله پرسيوس على وتيرته ، تآمروا فيما بينهم على نفيه هو وأمه من جزيرتهم فى زورق صغير يدفعون به الى اليمّ ، والأمواج المتلاطمة كفيلة ، ثمة ، باجراء حكمها فيهما ..

يا للوحوش ! لقد أنفذ الأشقياء تدبيرهم ؛ وتناوحت الأمواج حول الزورق تقذف به هاهنا وهاهنا ، والأم المسكينة تغالب أحزانها وتنسى مخاوفها ، فتغنى لطفلها الراقد فى حضنها ، وتدلله ، كى ينام ، وكى يكون بنجوة من فزع هذا البحر المصطخب

وبعد أن كان الموت المحقق قاب قوسين من هاتين الفريستين ، وبعد أن كانت كل موجة تشق للزورق قبراً فى أعماق الماء ، شاءت العناية أن تُسخّر موجةً هائلة تدفع به ، فى هوادة ورفق ، إلى ساحل جزيرة نائية فى وسط المحيط . وهناك ، نزلت الأم الموهونة متهالكةً على نفسها ، حاملة وديعتها البريئة ، شاكية الى الآلهة صنع الانسان بالانسان . ولمحت فى الأفق قرية متطامنة ، فيممت شطرها ، وما فتئت تتعثّر فى خطاها حتى بلغتها . والشمس تتوارى بالحجاب

ورحب الناس بالضيفين البائسين ، لأن دينهم كان يأمرهم بإيواء أبناء السبيل ، وإكرام الغرباء واللاجئين ؛ فعاشا ناعمين ، وشب پرسيوس سليماً من الآفات ، مُكتنز العضلات ، بادى الفتوة ، موفور القوة ، عذب اللسان ، مشبوب الجنان ، وأحبه الناس وأعجبوا به ، والتف الجميع حوله يُصغون الى أحاديثه العِذاب ،

لولا هوًى أجّجتِ فى خافقى ما صغتُ يوماً فيه أشعارى
أُحييتِ فى قلبيَ مَيْتَ المنى وهِجْتِ أحلامى وأسرارى
.. أأنت من نارِ الحشا جمرةٌ؟ أم أنتِ مَلْآى بدمى الجارى!
أنَرْتِ هذا الرّوضَ يا زَهرتى كما أنارَ الحبُّ أغوارى
ألم يَكُنْ قلبى قُبيْلَ الهوى يا زَهرتى ، كالهيْكلِ العارى
كهفاً يَئِنُّ الحُزْنُ فى جَوْفِهِ أنينَ أرياحٍ وأوْتارِ
مستوحِشاً قفراً سوى عاصفٍ للشكّ ، يلهو فيهِ ، موّارِ
كيفَ مُنًى لم يُبْقِ منها الأسى غيرَ خيالاتٍ وآثارِ
حتّى إذا ما حلّ فيهِ الهوى مِنْ بَعدِ أحزانٍ وأكدارِ
تفتّحتْ أحلامُهُ بهجَةً تفتّحَ الزهرِ لآذارِ

* * *

إيه أماني القلبِ ماذا تُرى يُخْفى لَكُنّ الزّمنُ الضّارى ؟
أخشى عليكُنّ غداً حالكاً يجرى بأسرارٍ وأقدارِ
عوّدَنى دهرىَ خُلْفَ المُنى وهدمَ آمالى وأوطارى
هذا صباىَ الغضُّ ، وَا لهفتا ، كمْ مَأملٍ لى فيهِ مُنْهارِ
... ...
يا زهرةً بعدَ طويلِ الأسى جادتْ بها أفراحُ آذار
أىّ المُنى فى القلبِ أيقظْتِها مَعْسولةً ، بل أىّ تذْكارِ ؟

دمشق أمجد الطرابلسى

وقصصه الرطاب . . . وتسامع الكل به ، وترامت الى ملك الجزيرة أخباره ، فشغله انصراف الناس اليه ، وافتتانهم به ؛ وكان (قاتله الله) ، غيوراً رعديداً ، فآلى أن يكيد له ، ويدبر حيلة يقصيه بها عن طريقه ، ليطمئن على نفسه . . . وعرشه ؟

وكان فى إحدى الجزر النائية ثلاثة من الجُرْجون الضارية ، وهى أفزع ما جاء فى أساطير اليونان ، وكل من هذه الجرجون تِنّين هائل له رأس امرأة ، ويدان من النحاس الأصفر الصلب ، ذواتا أظافر حادة ، تنفذ فى أقسى المعادن وأصلبها ، وليس لها شعر فى رءوسها كما للنساء ، بل لها ، عوضاً عن الشعر ، حيات وأفاع ذات رؤوس مرعبة تنفث السم الزعاف . وقد أوتيت قوة خارقة ، لتستطيع إحداها أن تقصم جذع النخلة بضربة ضعيفة من ذنبها الجبار ! وليست هذه الجرجون مخيفة بسمها وقوة بنيتها فحسب ، بل الأدهى والأمر ، هو هذا السر الدفين فى عيونها ؛ إذ كل من تجرّأ على النظر الى هذه العيون ، يتحول فى الحال الى صنم من الحجارة لا يتحرك ، ولا يعى ! !

وكانت الجرجونة (ميدوسا) أفظع أنواع الجرجون جميعاً ، ولذا كانت أختاها الأخريان تحترمانها ، وتسهران على راحتها

ولكن ماذا اعتزم الملك الجبار فى كل ذلك ؟ لقد دبَّر أن يُغرىَ برسيوس بالذهاب الى جزيرة الجرجون لقتل (ميدوسا) والاياب رأسها كأحسن هدية تقدم الى ملك . وكان هذا الرجل الخبيث يعلم تمام العلم أن مجرد محاولة الذهاب الى جزيرة الجرجون هو ضرب من الجنون لا يقدم عليه إلا المأفونون ، فان نظرة واحدة من عين ميدوسا كفيلة بوضع حد لكل شيء

وأرسل الملك الى برسيوس فمثل بين يديه ، وطفق يكيل له المدح جزافاً ، ويبالغ فى الثناء على ما ترامى إليه من أخباره ، وضروب شجاعته التى يتحدّث بها الجميع .

وامتلأ برسيوس ، الفتى ، زهواً ، وشاعت فى أعطافه الكبرياء ، وراح هو بدوره يشكر للملك حلو ثنائه ، وجميل إطرائه ، فما إن أدرك الملك ما بلغ ثناؤه من قلب برسيوس الغرير ، ونفسه الصغيرة ، حتى أخبره بما انتدبه له ؛ فقبل الفتى المسكين وهو لا يدرى ماهى هذه الجرجون ، ولا أين الجرجون ؟

* * *

وانطلق من فوره ، وأرسل الملك من حاشيته من أبلغوه خارج الأسوار ، فى مهرجان فخم ، وموكب أنيق . ثم غربت الشمس فغُلِّقت الأبواب ، وجلس برسيوس على صخرة عظيمة مشرفة على البحر يفكر فى هذه الجرجون ، وينظر الى القمر يشرق من الاثباج ، فيفضض الموج ، ويحور به البحر رجرجاً من لُجين ! ويذكر فجأة أنه لم يودع أمه ، ولم يتزود منها قبلة أو دعاءً لهذا السفر الطويل . فيبكى . . . ويبكى بكاءً مراً !

وتصدع قلبه حينما خيل إليه أنه قد لا يعود اليها ، مع أنه عزاؤها الوحيد فى هذه الحياة !

وانتصف الليل !

وفيما هو غَرِق فى لجة الفكر ، شَرِق بواكف الدمع ، إذا بصوت رقيق يناديه من فوق الصخرة المقابلة : « برسيوس أيها العزيز ! فيم بكاؤك ؟ ولِمَ تذرف كل هذه الدموع ؟ لقد هِجْتَ الآلهة ، وأحزنت أرباب الأولمب ! » . ونظر برسيوس ليرى مَن صاحب هذا الصوت الرخيم الذى يناديه ، فعجب عجباً شديداً ! لقد رأى مخلوقاً جميلاً مشرق الجبين ، يترقرق البِشْر فى وجهه ، لا يُعْقَل أن يكون بَشَراً ! يلبس فوق هامته قلنسوة ذات أرياش وأجنحة ، وفى قدميه نعلان غريبتان يتصل بكل منهما جناح كجناح البازى ، وفى يده عصا سحرية تتلوى بطرفها الأعلى ثعابين وحيات ! !

على أن برسيوس لم يعلم أن الذى يتحدث اليه ، إن هو إلا الآله هِرْمِز[1] رسول الآلهة بين السموات والأرض ، الذى لا يفوقه فى سرعته أحد

وبعد ، فلقد قص برسيوس قصته على هرمز . وما فرغ منها ، حتى قال الآله له : « بُنى ! إنك مُقْدم على أمر جلل ، وشأن بعيد المدى ، صعب المنال . ولقد أراد الملك اهلاكك حين اختارك لهذه المهمة ، لأن أحداً لا يجسر على الذهاب الى جزيرة الجرجون إلا إذا كان أحمق أو مجنوناً ! ولكن اصغ الى ! انك لابد فائز إذا عملت بوصاياى ، ولم تحد عما أشير عليك به . وسأذهب عنك لحظة ، ثم أعود اليك بآلاء من الآلهة ، تقرب لك النّجح ، وتسهل عليك كل شاق من أمرك . فانتظر » .

وزق هرمز ، ثم غاب فى السماء ، وبهت برسيوس حين رآه يطوى الأديم الفضى ، ويطرق أبواب أورانوس[2] !

* * *

وقص هرمز قصة صاحبه على الآلهة ، فرثت للفتى المسكين وتحركت فى قلوبها الرحمة المطوية ، التى طالما تهمر من السماء ،

(١) هرمز هو الذى يسميه الرومان ميركورى والعرب عطارد ، وهو قائد أرواح الموتى بين الدنيا والآخرة (٢) السماء

لتغسل آلام الأرض : وتعاهدت أن تؤازر برسيوس ، وتعده بكل ما يسهل عليه أشق أمره . فنزل بلوتو ، إله الموتى ، عن قلنسوته التي تخفي من يلبسها فلا يراه أحد ؛ وتبرعت مينرفا[1] بترسها الذي يحمى لابسه من حراب الأعداء ، وهو درع ثمين من الذهب الخالص ، يلمع لماناً شديداً ، حتى لينعكس المرئيات في صفحته ، كأنه السجنجل

وحمل هرمز المنحتين ، وعاد بهما الى حيث يجلس برسيوس فقدمهما اليه ، وزوده بجُرازه الملتوى القاطع ، الذي ليس كمثله سيف ولا حسام . ومنحه نَعْلَيه المجنَّحتين ، اللتين تسبقان به الريح ، فلبسهما ثم قال له : « تلك يا برسيوس هدايا الآلهة أسبغها عليك . بيد أنه ينبغى قبل كل شيء أن تذهب مني إلى هذه الجزيرة القريبة حيث تقيم ثلاث إناث من السيكلوب ذوات العين الواحدة ، فتحتال عليهن حتى تعرف منهن موضع جزيرة الجرجون ، لأن أحداً من العالمين لا يدرى أين موضعها بالضبط غير هؤلاء السيكلوب . سر إذن على بركة الآلهة في أثرى ، واحترس لنفسك ، والسماء تكلؤك . »

وكم عجب برسيوس حين رآه يطير في إثر هرمز ، والبحر من تحتهما تتلاطم أمواجه ، ويعج عجيجه ، وهما من فوقه كالعصافير المهاجرة ، وحطّا في الجزيرة المنشودة ، بعد أن دَوّما فوقها طويلاً . وكان ذلك بالقرب من كهف حالك ، في منحدر صخرة صعبة المرتقى . وقد لمح فيه برسيوس السيكلوب الثلاث ، بفضل ترس مينرفا الذي كان يعكس في صفحته كل ما في الجزيرة

إنها مخلوقات غريبة حقاً ، ليس كمثلها شيء في الآفاق ، شاذة في خلقها ، عجيبة في تنسيق جسمها ؛ وهى إناث على كل حال ، يعشن في هذه الجزيرة المشوشبة ، بعيدات عن العالم ، منزويات في هذا الركن السحيق من أركان الدنيا . وأغرب ما في أجسامهن من شذوذ ، أنهن ليس لهن أعين كما للناس ؛ ولكن لهن ، لثلاثتهن ، عين واحدة ! تركبها إحداهن لوقت معلوم ، في حفرة غائرة من جبينها ، حتى إذا انتهى الوقت وجاءت نوبة السيكلوبة الأخرى ، نزعت الأولى تلك العين وأعطتها للثانية ، وهذه تعطيها للثالثة بدورها ، وهكذا دواليك ، وبوساطة تلك العين العجيبة تستطيع السيكلوب رؤية أصغر شيء في أقصى جهات العالم ، من دون ما مشقة ولا عناء

وبعد أن زود هرمز صاحبه بوصايا غالية ، انتحى ناحية قريبة ، واختبأ برسيوس خلف شجرة باسقة : ولشد ما دهش إذ رأى إحدى السيكلوب تقود أختيها ، وفي جبينها العين العجيبة ترمق بها أصقاع العالم ، وتحدث أختيها عما ترى . وبعد قليل ثار نزاع بين الأخوات على العين ، كلٌ تريد أن تأخذ نوبتها ، وكل تدعى أن الدور دورها . وفيما كانت الأولى تنزع العين ، وتوشك أن تعطيها للثانية ، انقض برسيوس فتلقفها من السيكلوبة ، دون وعى منها !! لأنها بدون العين لا تستطيع أن ترى شيئاً في العالم . وينشب نزاع شديد بين السيكلوب على العين ، كل منهن تتهم أختيها بأن العين معها وتدعى الانكار ، حتى وضع برسيوس حداً لتنازعهن ، بأن هتف بهن : « أيتها الأخوات العزيزات ، لا تنازعن على عينكن ، فهي في هذه اللحظة معي وبين يديّ . »

وانقضّت السيكلوب هلمات نحو مصدر الصوت ، ولكن هيهات أن يقبضن على شخص تحمله نعلا هرمز ، فلقد قفز قفزة هائلة ، أقصى بها نفسه عنهن ، ثم قال : « أيتها الأخوات العزيزات ! أنا أعلم أنكن لا تستطعن الحياة بدون العين الغالية ، وأنا أعدكن ردها إليكن ، ولكن بشرط واحد : ذلك أن تخبرنني عن المكان الذي تأوى إليه (مدوسا) وأخواتها الجرجون ، فان لم تفعلن فلا عين لكن عندي . »

وهنا تميزت السيكلوب من الغيظ وكدن لا يجبن بشيء ، لأنهن منهيات عن إذاعة أسرار العالم ، ولكن إذاعة السر في هذه اللحظة أهون ألف مرة من هذا العمى المطلق ، والظلام المبين يفطش حياتهن ، فأخبرنه بموضع الجزيرة ومأوى الجرجون فيها ، ولكي يثق مما أنبأنه به نظر في العين التي بين يديه فرأى الجزيرة ، وأيقن أنهن لم يخنّه ؛ ثم إنه تحين الفرصة اللائقة ودفع بالعين في جبهة أقرب السيكلوب منه وغاب في الجو ميمماً شطر هرمز ، حيث وجده يمرح في غيضة ناضرة ، فتعانقا عناقاً طويلاً ، وشكره برسيوس على جزيل مساعدته ، ثم افترقا على أن يبدأ برسيوس رحلته إلى جزيرة الجرجون

* * *

وكانت رحلة طويلة شاقة ، برغم نعلى هرمز . فكم بحار طوى ، وكم وهاد رأى ، وكم ريح صرصر كافح ، وكم مشقة احتمل ، حتى وصل الى جزيرة الجرجون ! ولم ينس ما أوصاه به هرمز من وجوب النظر إلى أعلى دائماً حتى لا تقع عيناه على

(١) اسمها بالا أثينا في الميثولوجية اليونانية وقد آثرنا هذه التسمية الرومانية لذيوعها

عيني إحدى الجرجون فيحور حجارة صماء . وكان يتخذ من درع ميرقا مرآة صافية يرى فيها ما تنج به الجزيرة من كهوف وزروع وغابات . ولشد ما سر سروراً لا مزيد عليه حين وجد الجرجون الثلاث مستغرقات فى سبات عميق عند مدخل كهفهن السحيق . وفى وسطهن مديوسا العاتية . تغط غطيطاً مروعاً . فاستخار الآلهة ، وامتشق حُجراز هرمز ، وتعوّذ ثم تعوّذ ، ثم انقض كالصاعقة ، فأهوى على عنق مديوسا بضربة قاتلة ، انفصل بها الرأس عن سائر الجسد . وهنالك ، علا فحيح الأفاعى الباسقة فى رأس مديوسا ، تدمدم فى الكيس الجلدى الذى ألقاها برسيوس فيه، حتى لقد استيقظ أختاها ، وانطلقتا مرتاعتين فى إثر الفتى ، تودان لو تمسكان به ، فتمتصران عظامه اعتصاراً ... ولكن قلنسوة بلوتو تخفيه عنهما ، وتحفظه من شرهما

وبينما هو يطوى الضحاضح والبحار ، وبينما هو منتش بخمرة انتصاره ، مفكر فى اللحظة التى يلقى فيها الملك ليريه رأس مديوسا ، ويحظى لديه بثمرة فوزه ، بينما هو كذلك ، إذا به يلمح فى إحدى الجزر زحاماً شديداً ، وجماهير حاشدة ، متكبكبة حول صخرة ناتئة ، مشرفة على البحر ، وقد تدلت منها فتاة بارعة الجمال ، بادية الحسن ، مغلولة العنق ، مربوطة الأطراف بسلاسل وأصفاد من حديد صلب . ونظر فرأى تنيناً بحرياً هائلاً يطفو فوق الماء ، ويقترب من الفتاة قليلاً قليلاً ؛ وراعه أفزع الروع تلك الصرخة الهائلة التى صرختها الفتاة فرددت الغيران والكهوف ومشارف الجبال صداها

ماذا ؟ . . .

الفتاة مذعورة أيما ذعر ، والناس من حولها ينظرون ولا يحركون ساكناً . . . والتنين يقترب ويقترب . . . ؛ ولم ينتظر برسيوس حتى يفترس الوحش تلك الفتاة المفزعة ، بل استل حُجراز هرمز وانقض فوق ظهر التنين وأهوى على عنقه بضربات سريعة متلاحقة غاص بها فى أحشائه ، ولبثا يتصارعان ساعة من الزمان كانت كلها هولا ، وكانت كلها فزعا ، والناس ينظرون مشدوهين ، زائغة أبصارهم ، لا يصدقون ما يبصرون . ثم انجلت المعركة عن جثة التنين الضخمة طافية فوق الماء ، الذى تحول بدوره خضما من الدماء . وقفز برسيوس إلى الشاطئ ، وذهب إلى الفتاة ففك أصفادها ، وهدأ من روعها ، وسأل الناس فقادوها إلى والدتها المسكينة المعذبة التى حبست نفسها فى حجرة مظلمة ، وانتظرت ثمة من ينبى اليها ابنتها

أما هذه الأم ، فهى الفادة الأغريقية كاسيوبيا ، المشهورة بجمالها ، وحسن رُوائها ، والتى كانت أفتن حسان هيلاس فى زمانها ، ولقد امتلأت زهواً بما أضفت عليها الآلهة من قسامة ، وما أسبغت عليها من وسامة ، فزعمت ، وهى تفاخر أترابها ، أنها أجمل من عرائس البحار التى لا يدانيها فى جمالها الباق ، جمال هذا البشر الفانى . فغضبت عرائس الماء ، لهذا الادعاء ، وأقسمن ليعذبنان أهل الجزيرة التى فيها كاسيوبيا بهذا التنين المروع الذى شرع يغدو كل يوم إلى شواطئ الجزيرة ، فيقتل ويلتهم عشرات من سكانها !

وذعر القوم ، وحاروا فى أمر هذا التنين ، وذهبوا إلى الهيكل يقدمون قرابينهم للآلهة ، ويستوحون كهنتها نبوءة تبعد عنهم شره ، وتكفيهم أمره . ولقد أجيبت أدعيتهم ، وتُقبِّلت أضحيتهم ؛ وأُرهفت الأسماع ، وشمل الهيكل هذا السكون المقدس الرهيب ، وما هى إلا لحظة حتى انطلق صوت خفى من أعماق المذبح ، يقول : « قدِّموا العذراء أندروميدا ، ابنة الغانية كاسيوبيا ؛ ضحية حلالاً لتنين البحر ، جزاء غرورها وكبريائها — ذلك إن أردتم أن يكف التنين عنكم شره ، ولا يعاودكم أذاه ! »

وانكفأ القوم محزونين مروعين ، لأنهم كانوا يحبون كاسيوبيا وابنتها ، حباً هو العبادة . وحاروا كيف يتقدمون للأم بهذا النبأ العظيم ؟ !

وكان لا بد من النفاذ ، لانقاذ الجزيرة وجميع سكانها . . .

والآن ، لقد أنقذ برسيوس أندروميدا الجميلة من براثن التنين ، وشعر فى سويدائه بعاطفة نورانية تجذبه إلى هذه الفتاة ، وأحس كأن مستقبله مرتبط بمستقبلها برباط قدسى تباركه السماء وتحرسه العناية ؛ فتقدم إلى والدتها يطلب إليها يد أندروميدا

ووافقت الوالدة ، وسعدت الفتاة بهذا البطل الشاب الذى أنقذ حياتها مرتين : مرة من هذا الوحش الضارى الذى تركه برسيوس جثة هامدة ، ومرة ثانية من ذلك الشيخ الفانى الهرم الذى تقدم إليها يريدها زوجة له ، وكادت أمها تقسر على الموافقة لما للشيخ فى الجزيرة من صولة وجبروت ، لولا المقادير التى تتابعت بعد ذلك

وأقيم مهرجان كبير ، وزينات فخمة للاحتفال بالعروسين ؛ فدت الأخونة ، وأعدت الأسمطة ، وبدأت الموسيقى الأغريقية تعزف أشجى ألحانها ، وأخذ الجميع فى قصف حلو وسمر بريء

وإنهم لفى كل ذلك إذا بالرجل الهرم الذى تقدم لخطبة

أندروميدا من قبل ، يقتحم الحفل هو وعصبة قوية من رجاله المسلحين ، وإذا بالرجل يهتف ببرسيوس قائلاً : « برسيوس ! لقد اعتديت على مولى هذه الجزيرة اعتداءً صارخاً بانتزاعك أندروميدا من يدى ؛ وإنك إن لم تنزل عنها طواعيةً فسأكرهك على تركها قسراً ، بعد أن تروى هذه السيوف من دمائك ودماء من يلوذ بك ! . . . » . فحدجه برسيوس بنظرة ساخرة وقال : « من أنت أيها الرجل الذى يجسر على مخاطبتى بهذا الهراء ؟ لقد أصبحت أندروميدا زوجى ، وإن كانت من قبل خطيبتك ؛ أنت من غير ريب تحلم ... غير أنى أسألك : أين وليت وجهك يوم اضطرت أمها المسكينة أن تنزل عنها قرباناً للتنين ؟ لقد كان أولى بشجاعتك أنت ورجالك لو توليتم انقاذها من الأفعوان البحرى الذى أذلك وأذلهم . . . » ومد يده إلى الكيس الذى كان به رأس مديوسا ، فأخرجه وقال : « ولكن انظر إلى هذا قبل أن تقتلنى . » وما كاد الرجل ينظر إلى عينى مديوسا ، حتى تصلبت عضلاته ، وتحجر جسمه ، وظل مكانه كأنه تمثال ! ودهش أصحابه لجموده ، وظنوه قد سخر حيث هو ، فلما لامسوه استطيرت ألبابهم ، ولاذوا من الفزع بالفرار

وأخفى برسيوس رأس مديوسا ، واستمر القوم فى سمرهم كأن لم يحدث شىء ... اللهم إلا هذا التمثال المنتصب فى أول ردهة ، والذى كان يهرف منذ لحظة ، فأصبح عبرة الزمان ، وضحكة الأيام !

وحان يوم الرحيل ، فخرج أهل الجزيرة يودعون الزوجين ، وظلت كاسيوبيا تعانق برسيوس مرة ، وأندروميدا مرة أخرى ، والدموع فيما بين هذه وتلك ، تنهمر على خديها انهماراً . . . . والناس ينظرون . . . ويبكون

ثم حمل برسيوس عروسه ، ومرق فى الهواء كالسهم ، والقوم من عجب يتصايحون ويهتفون

* * *

وكانت الرحلة هذه المرة ، على شدتها وطولها ، من أروح الرحلات إلى قلب برسيوس . وتستطيع أن تتصور القبل الحلوة تنطبع على هذين الثغرين الحبيبين ، فى ملكوت السماء ، لتدرك أى سعادة شعرية ، وأى هنيهات سحرية ، فازا بها فى لازورد الفضاء

وبلغ مدينة الملك بعد نأى طويل ، وسنين عدة ، فذهب أول ما ذهب إلى منزل أمه ، وناهيك بما كان من عناق ، وما تبودل من تحيات . وبكت دانائى المسكينة وهى تهنىء ابنها بأندروميدا ، ثم أخذت تقص ، ملء أحزانها ، وفى فيض أشجانها ما انتابها من سوء ، وما لحقها من عسف ، لأنها أبت أن تكون خليلة الملك المخاتل الجبار ، الذى صب عليها جام نقمته ، وأذاقها من الهوان ألواناً ! فحزن برسيوس حزناً مُمضاً ، وهيج حتى خيف عليه ، وذهب من فوره إلى قصر الملك بكل عتاده ! ودخل إلى البهو الملكى بدون استئذان ، وهو يضمر فى القلب غُصة ، وفى النفس لوعة ، وفى الكيس رأس مديوسا ! !

وقال الملك حين لمح برسيوس : « هلا ! برسيوس ! لقد عدت أخيراً ، وما أحسبك وفّيت بما قطعت على نفسك من عهود ! لعل شجاعتك التى بالغ الناس فى إطرائها والثناء عليها قد واتتك فى حربك مع الجرجون ؟ ! »

فأجاب برسيوس ، دون أن يحيى بالتحية الملكية : « أيها الملك ! لم تخاطبنى هكذا ولاتتريث حتى تنظر إن كنت قد عدت إليك برأس مديوسا الرهيب ؟ »

« فقهقه الملك ، وملأ القهقهُ شدقيه ، وقال : « طبعاً ، ستدعى أنك قتلت مديوسا ولكن رأسها وقع منك فى البحر ، فالتقمه الحوت ؟ . . . . يا للشباب المخدوع ؟ ! » .

وثارت ثائرة برسيوس ، ولم يجد إلى صبر من سبيل ، فحسر عن رأس مديوسا وقال : « أيها الملك . . . انظر ! »

وبهت الملك مكانه حين وقع بصره على عينى مديوسا ؛ ثم تحول فى لمحة إلى تمثال من الحجر ما يأتى بحركة ؛ ولا ينبس ببنت شفة ! !

وحدث عما شمل أهل الجزيرة من الفرح حين ترامت اليهم أخبار الملك ؛ وما تم له مع برسيوس . لقد كانوا يؤثرون الموت على أن يحكمهم مثل هذا الظالم العاتى المستهتر ، ولقد كانوا يودون له الهُلْك ، حتى خلصهم برسيوس منه ، فهرعوا إليه ، وهتفوا فى كل مكان باسمه ، وحملوه على الأعناق إلى حيث الملك التمثال وهناك ، صبوا لعناتهم على الطاغية ، وانصرفوا ، يهنىء بعضهم بعضاً ، بعدان اختارلهم برسيوس ملكامنهم .... فاضلاً ، عادلاً ... وقدعرضوا عليه الملك فأبى ... لأن مملكته الكبيرة المكونة منه ومن أمه ، ومن أندروميدا كانت آثر لديه من كل ملك عتيد ! !

وتوجه إلى حيث لقى هرمز ، عند الصخرة المشرفة على البحر ، فوجده ينتظره ، فتعانقا عناقاً يفيض محبة ، ويقطر وداً ، ثم رد إليه هدايا الآلهة بالحمد والثناء . . .

أما رأس مديوسا ، فقد أهداها إلى منيرفا ، ففرحت بها فرحاً شديداً ، وهى إلى اليوم مركبة فى وسط ترسها ترهب بها أعداءها الألداء . . . ؟

دريني خشبة